الباب الحادى عشر

مصر فى عصر أسرة محمد على

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

عصر محمد على

بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر، تنازع على حكمها ثلاث قوى هي الدولة العثمانية و الإنجليز والمماليك، وكانت هذه القوى هي التي كانت قد اتحدت من قبل ضد الحملة الفرنسية، ثم ما لبث كل منها إلى التطلع للانفراد بالحكم.

فقد تطلع السلطان العثماني إلى إعادة حكمه ونفوذه على مصر ولذلك قرر محاربة المماليك والقضاء عليهم، أما انجلترا فأرادت أن تبسط نفوذها على وادي النيل وتحتل بعض المواقع على شواطئ البحرين المتوسط والأحمر، ومن جهة ثالثة طمع المماليك في إستعادة حكمهم للبلاد وحاولوا الاستعانة بالإنجليز ضد الدولة العثمانية، وبطبيعة الحال رحب الإنجليز بذلك لتحقيق أطماعهم في مصر.

obeikan.com

مع تطاحن وتنازع هذه القوى الثلاث، ظهرت قوة جديدة على ساحة الحراك السياسي في مصر، وهي قوة الشعب المصري ممثلة في زعاماته التي تبلورت منذ الحملة الفرنسية واتسعت خبراتها بالدخول في تجارب الحكم والسياسة، وبرزت شخصيات مهمة أمثال السيد عمر مكرم والشيخ عبد الله الشرقاوي وغيرهما.

على أي حال واجهت البلاد فترة عصيبة من الفوضى والاضطرابات، وتعدد الولاة في فترة وجيزة، وخلال هذه الفترة ظهرت شخصية محمد علي.

ولد محمد علي سنة 1769م في مدينة قولة باليونان والتي كانت ولاية عثمانية،واسمه كاملًا محمد علي باشا المسعود ابن إبراهيم آغا القوللي نسبةً إلى محل ميلاده، وقد عمل في بداية حياته بتجارة الدخان، واكتسب خبرة في الشئون المالية فضلا عن خبرته العسكرية، وانضم إلى الجيش العثماني الذي جاء مع الأسطول العثماني إلى مصر للاشتراك في إجلاء الفرنسيين وكان قائدًا للفرقة الألبانية.

• **ولاة مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية 1801م حتى تولية محمد علي 1805م:**

1. خسرو باشا: بعد جلاء الحملة الفرنسية، عينت الدولة العثمانية محمد خسرو باشا واليًا على مصر، وقد طلب خسرو باشا من طاهر باشا قائد فرقة الأرناؤود ومحمد علي قائد فرقة الألبان التوجه إلى الصعيد لمحاربة المماليك، إلَّا أن محمد علي حرض طاهر باشا بأن يطالب خسرو بدفع رواتب الجند المتأخرة، وكان محمد علي يعلم أن خسرو سيعجز عن توفير رواتب الجند، وهو ماحدث، فثار الجند على خسرو باشا وهاجموا القلعة فهرب خسرو إلى دمياط ثم قبض عليه وسجن في القلعة.
2. طاهر باشا: بعد توليه، عجز هو أيضًا عن دفع رواتب الجند فثاروا عليه وقتلوه.
3. أحمد باشا: لم يلبث في السلطة الَّا يومًا واحدًا، حيث تحالف ضده محمد علي والمماليك، فغادر القاهرة، وطرد المماليك القوات العثمانية من القاهرة وأصبح منصب الوالي خاليًا وأصبحت السلطة الفعلية في يد أحد المماليك وهو عثمان بك البرديسي.

4. علي الجزايرلي باشا: عَيّنَ السلطان علي الجزايرلي واليًا على مصر، ولكن المماليك قتلوه قبل أن يتولى السلطة في يناير 1804م، مما أدى إلى انتهاء مظهر السيادة العثمانية، ولم تعد هناك قوى متنافسة على الحكم سوى محمد علي والمماليك الذين زادت سلطتهم بعد عودة محمد بك الألفي المملوكي من إنجلترا وضمن تأييدهم له. وقد بدأ محمد علي يخاف من المماليك بعد عودة الألفي، إلَّا أن عداء البرديسي للألفي والصراع بين فرق المماليك وفرت على محمد علي الدخول في الصراع معهم وأكتفى باشعال نار العداوة والفتنة بينهم، حيث قرر البرديسي اعتقال الألفي الذي هرب إلى الصعيد.

في ظل هذه الصراعات، وفي فترة حكم البرديسي هذه، تعرضت مصر إلى أزمة اقتصادية طاحنة، إذ انخفض فيضان النيل وقلت الأقوات ففرض البرديسي الضرائب على الناس، مما دفع الشعب إلى الثورة على البرديسي ومماليكه.

يبدو أن محمد علي قد خشي من أن تصيب الثورة جنوده، كما أنه أدرك أن هذه ربما تكون فرصته الأخيرة للتقرب بشخصه من المصريين وزعامتهم، وأن يظهر في دور العادل المتواضع.

على أي حال قامت ثورة الشعب المصري في مارس 1804م، ونزل محمد علي وجنوده إلى الشارع واختلط بالأهالي الساخطين وتعهد للعلماء والمشايخ برفع الضرائب عن الناس وأمر جنوده باحترام الشعب ورفع الظلم عنهم وحمايتهم، وبذلك كسب محمد علي عطف الشعب وثقة زعمائه، وانتهز الفرصة وهاجم مراكز المماليك وحاصر بيوتهم فهربوا إلى الصعيد، فحدث فراغ سياسي للسلطة في القاهرة، فاقترح محمد علي إطلاق سراح خسرو باشا من السجن وتعيينه واليا، فارتفع مركز محمد علي لدى العلماء ولدى السلطان اذ ظهر بمظهر غير الطامع في الولاية، إلَّا أن اعادة خسرو للولاية لاقت اعتراضات كثيرة مما أدى إلى عدم توليته.

5. خورشيد باشا: اقترح محمد علي تعيين خورشيد باشا حاكم الإسكندرية بوصفه عثمانيا، وفعلا تم تعيينه، إلَّا أن خورشيد لم يكن ليطمئن لموقف محمد علي لذلك عمل على التخلص منه بأكثر من طريقة، منها استصدار فرمان (أمر) من السلطان العثماني بتعيين محمد علي واليًا على جدة، لكن محمد علي رفض تنفيذ ذلك مستندًا على تأييد العلماء والزعامة الشعبية.

تذمر الأهالي من مظالم خورشيد وأعمال جنوده، فاجتمع العلماء والزعماء والنقباء في بيت القاضي أو المحكمة في 13مايو 1805م، وقرروا عزل خورشيد وتولية محمد علي بشروطهم وهي أن يحكم بالعدل وألَّا يبرم أمرا الَّا بمشورتهم وإذا خالف ذلك عزلوه.

وكانت هي المرة الأولى في التاريخ المصري التي يعزل فيها والي ويولى أخر بإرادة شعبية، ولم يستطع السلطان العثماني أن يواجه هذه الإرادة القوية من المصريين فاضطر إلى إصدار فرمان بعزل خورشيد وتولية محمد علي في يوليه 1805م.

• محمد علي وتوطيد حكمه في مصر:

قبل أن يشرع محمد علي في بناء الدولة الحديثة في مصر، كان عليه أن يطمئن لاستقرار الحكم في يده خالصا من أعدائه في الخارج ممثلين في السلطان العثماني وفي الإنجليز، ومن منافسيه في الداخل ممثلين في الزعامة الشعبية وخاصةً عمر مكرم، والمماليك، وكانت كما يلي:

– في أغسطس 1805م حدثت محاولة انقلاب فاشلة من المماليك تصدت لها قوات محمد علي وطاردتهم إلى الصعيد.

– في 1806م أصدر السلطان العثماني فرمانًا بتوجيه إنجليزي

يقضي بنقل محمد علي إلى ولاية سالونيك وتسليم السلطة لموسى باشا القادم مع الأسطول العثماني، إلَّا أن الزعامة الشعبية ساندت محمد علي بقوة مما اضطر السلطان العثماني إلى التخلي عن فكرة نقل محمد علي مقابل دفع أربعة ألاف كيس من النقود.

– في 1807م وجهت انجلترا حملة عسكرية إلى مصر عرفت بحملة فريزر، وكانت الحملة تهدف إلى احتلال مصر وخلع محمد علي وتنصيب حليفها في مصر محمد بك الألفي، وقد نزلت الحملة إلى الإسكندرية ومنها إلى رشيد ووقع عبء المقاومة على المصريين والزعامة الشعبية الذين هزموا الإنجليز في شوارع رشيد وفي الحماد وأسروا بعضهم وقتلوا الكثير منهم وفر الباقون راجعين إلى الإسكندرية، أما محمد علي فكان يحارب المماليك في الصعيد فأسرع بالزحف إلى الإسكندرية وحاصرها، فطلب فريزر الصلح والجلاء مقابل الإفراج عن الأسرى، فوافق محمد علي ودخل الإسكندرية منتصرا، أما الألفي المملوكي تابع الإنجليز فكان قد مات قبل وصول حملة فريزر بشهرين ولم تعلم الحملة بخبر وفاته.

- في 1809م قام محمد علي بخلع السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط وتولية محمد السادات مكانه والذي كان أداة طيعة في يد محمد علي، حيث كان محمد علي قد أدرك قوة الزعامة الشعبية ممثلة في السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، ودورها في توليه الحكم والقيود التي فرضتها عليه، كذلك ارتفاع منزلته في نفوس الشعب وخاصة بعد دوره الواضح في رسم خطط مقاومة حملة فريزر.
- في مارس 1811م قرر محمد علي التخلص تمامًا من المماليك ليخلص له حكم مصر دون منافسة، وقد اتبع معهم سياسات مختلفة إلَّا أن أبشع طريقة كانت ما عرف بمذبحة القلعة 1811.

فعندما طلب السلطان من محمد علي التوجه إلى الحجاز لضرب الحركة الوهابية التي قامت هناك على يد محمد بن عبد الوهاب، خشي محمد علي أن ينتهز المماليك فرصة خروج جيشه وينقلبوا عليه، لذلك دبر لهم هذه المذبحة.

قام محمد علي بدعوة المماليك للاحتفال في القلعة بمناسبة خروج الجيش بقيادة ابنه طوسون إلى الحجاز، ثم حوصرت فرق المماليك من كل جانب وتم قتلهم جميعًا ماعدا عدد قليل منهم

كانوا في الصعيد ففروا إلى السودان وبذلك خلص حكم مصر لمحمد علي دون منازع وبدأ في بناء دولته الحديثة في مصر.

أهم أعمال محمد علي في بناء الدولة الحديثة:

• الاقتصاد:

طبق محمد علي سياسة الاحتكار على كل موارد الاقتصاد المصري ليضمن السيطرة على الاقتصاد ومنافسة الدول الأوروبية.

1. **الزراعة:** من أهم ما قام به في مجال الزراعة هو توزيع الأراضي على الفلاحين بمساحات تتراوح مابين ثلاث إلى خمس أفدنة لكل أسرة للانتفاع بها مع دفع الضرائب، وأحل أساليب زراعية جديدة وأدخل محاصيل وغلات جديدة وأصبح القطن المصري القطن الأول عالميًا، كما حسن طرق الري فشق ترعة المحمودية وأقام القناطر وأهمها القناطر الخيرية.
2. **الصناعة:** أقام محمد علي المصانع المختلفة مثل الغزل والنسيج والسكر والأسلحة وغيرها، وكانت هذه المصانع كلها تتبع الحكومة، كما استقدم خبراء من أوروبا، وجمع الصبية الصغار للعمل في مصانع الدولة اجباريًا بأجر رمزي فأصبحت بمثابة مدارس صناعية.

3. **التجارة:** خضعت التجارة لسياسة الاحتكار بعد أن خضعت لها الزراعة والصناعة، وبطبيعة الحال ولخدمة النشاط التجاري اهتم محمد علي بالنقل والمواصلات فقام بتمهيد الطرق البرية والبحرية وبناء أسطولين في البحرين الأحمر والمتوسط وإصلاح الموانئ القديمة وتطهير البحر الأحمر من القرصنة.

• التعليم والثقافة:

قام محمد علي بانشاء المدارس العليا مثل الحربية والطب والمهندسخانة، كما أقام المدارس الابتدائية والتجهيزية، وقام بإرسال بعثات علمية إلى أوروبا خاصة إلى فرنسا، كما استعان ببعض الأساتذة الأجانب للتدريس في المدارس العليا والترجمة من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية، وأقام كذلك المطابع الأميرية في بولاق لطباعة الكتب، كما أصدر صحيفة الوقائع المصرية.

• القوة العسكرية:

كانت جميع مشروعات محمد علي العمرانية والتعليمية بهدف سد حاجات الجيش، فقد أدرك محمد علي أن بناء جيش قوي هو الدعامة الأساسية لتحقيق أهدافه في بناء الدولة الحديثة، فقام

بإنشاء المدارس العسكرية وأهمها مدرسة في أسوان، واستقدم ضباطا من أوروبا للتدريس في هذه المدارس، كما قام محمد علي بتجنيد المصريين، وإقامة الترسانات البحرية وإنشاء الأسطول الحربي، كما اهتم كذلك بالتصنيع الحربي وإقامة القلاع والاستحكامات.

حروب محمد علي وتوسيع دولته:

خاض محمد علي مجموعة من الحروب مكنت مصر من تحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية، رغم أن هذه الحروب في بدايتها كانت لحساب السلطان العثماني، وانتهت بمواجهة السلطان نفسه، مما جعل الدول الأوروبية تدرك مدى قوة محمد علي وأنه أصبح يمثل خطرًا على التوازن الدولي، فتحالفت أوروبا مع السلطان العثماني حتى تم إخضاع محمد علي بفرض معاهدة لندن 1840م عليه.

وقد تمثلت أهم الحروب التي خاضها محمد علي في:

• **حروب الجزيرة العربية** 1811م – 1819م:

عرفت كذلك بالحروب الوهابية، وتمت بناء على طلب السلطان العثماني بهدف القضاء على دعوة محمد بن عبد الوهاب من آل سعود، وترتب عليها نجاح محمد علي في إسقاط الدولة السعودية

الأولى وأسند السلطان لمحمد علي مشيخة الحرم المكي ولابنه إبراهيم ولاية جدة، واتسع مجال مصر فشمل الحجاز ونجد وعسير وجزءًا من اليمن والخليج العربي.

• **حرب اليونان** 1821م – 1828م:

عرفت كذلك بحرب المورة، وتمت بناء على طلب السلطان العثماني للقضاء على ثورة اليونانيين ومطالبتهم بالاستقلال عن الدولة العثمانية، ورغم تحطم أسطول محمد علي في معركة نوارين أو نفارين، إلَّا أن النتائج النهائية للحرب كانت في صالح محمد علي لبناء القوة الذاتية لمصر ومنها ضم جزيرة كريت لولاية مصر، وارتفاع مكانة مصر دوليًا حيث تفاوضت الدول الأوروبية مع محمد علي مباشرة للتوصل إلى إتفاقية لإنهاء الحرب عام 1828م.

• **حرب السودان** 1820م – 1822م:

تعتبر أول الحروب التي خاضها محمد علي بناء على رغبته الشخصية وإرادتـــه، وارتبطت بفكرة المجال الحيوي لمصر والامتداد الطبيعي لها من ناحية الجنوب، وهدف من ورائها إلى القضاء على المماليك الفارين من مذبحة القلعة واكتشاف مناجم الذهب والماس وتنمية التجارة وتجنيد السودانيين في الجيش،

وترتب على هذا الفتح تقسيم السودان إلى مديريات على النمط المصري وبناء مدن جديدة مثل الخرطوم وكسلا واكتشاف منابع النيل وأواسط أفريقيا.

• **حروب الشام** 1831م – 1839م:

تطلع محمد علي لضم الشام وحاول نيلها بالسياسة من السلطان أكثر من مرة إلَّا أن محاولاته السياسية كلها لم تنجح وفي 1831م وجد محمد علي الحجة التي سيدخل بها إلى الشام، فقد أعلن رغبته في إرجاع الفلاحين المصريين الهاربين إلى الشام تخلصًا من الضرائب وفرارًا من الخدمة العسكرية، وقد بلغ عددهم نحو ستة ألاف، وقد رفض والي عكا إرجاع هؤلاء الفارين بإعتبار أنهم رعايا عثمانيون يحق لهم الاستقرار في أي مكان يتبع الدولة العثمانية لذلك قرر محمد علي التوسع في الأراضي الشامية.

بالفعل في أكتوبر 1831م تقدمت القوات المصرية في الشام وحققت انتصارات متتالية فدخلت عكا ودمشق وحمص بل وتخطت الحدود الشمالية لسوريا ودخلت الأناضول وتمركزت في أدنة وواصلت الزحف نحو الآستانة عاصمة الدولة العثمانية.

وانتهى هذا الأمر بعقد صلح كوتاهية 1833م وبه بسط محمد علي نفوذه على الشام وأدنة وتأكد سلطانه على كريت ومعظم شبه الجزيرة العربية والحجاز فضلًا عن مصر.

وفي عام 1838م جدد محمد علي عزمه على الاستقلال عن الدولة العثمانية، إلَّا أن انتصارات محمد علي وتهديده للسلطان آثارت مخاوف الدول الأوروبية من ازدياد نفوذه وقوته وخطره على التوازن الدولي، ولم تكن الدول الأوروبية لتسمح بتفوق مصر، فدخلت الدول الأوروبية في مفاوضات مع السلطان العثماني وانتهت هذه المفاوضات بعقد معاهدة لندن 1840م والتي عرفت باسم تسوية لندن،**وكانت أهم شروط هذه التسوية هي:**

1. اعطاء محمد علي وخلفائه حكم مصر وراثيًا ولمحمد علي فقط حكم فلسطين طوال حياته مع إخلاء كريت وأدنة والحجاز
2. أن يدفع محمد علي جزية سنوية للسلطان
3. أن يلتزم محمد علي بتطبيق كافة المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية
4. تعد قوات محمد علي البرية والبحرية جزءًا من قوات الدولة العثمانية وأن تكون في خدمة السلطان.

أمـام هذا التحالف الأوروبـي العثماني لم يستطع محمد علي المقاومة واضطر إلى قبول هـذه التسوية، واستكمالًا لهذه المعاهدة أصدر السلطان فرمانين في عام 1841م ربطا مصر بقيود جديدة منها:

- يتلقى حكام مصر من أبناء محمد علي فرمان الولاية من السلطان.
- لا يزيد عدد الجيش في وقت السلم على ثمانية عشر ألف جندي ولا تبني مصر سفنًا حربية إلَّا باذن السلطان إلَّا أن الفرمان الأول قد قضى بحق وراثة حكم مصر لأكبر أبناء محمد علي سنا من الذكور،وقضى الثاني بولاية محمد علي على السودان.

على أي حال، وبعد انسحاب الجنود المصرية من بلاد الشام وفصل الأخيرة عن مصر وعودتها لربوع الدولة العثمانية بدعم أوروبي كبير، أصيب محمد علي باشا بحالة من جنون الارتياب، وغدا مشوش التفكير شيئًا فشيئًا، ويُعاني من صعوبة في التذكّر، ومن غير المؤكد إن كان هذا نتيجة جهده الذهني خلال حرب الشام، أو حالة طبيعية نتيجة تقدمه بالسن.

بعد عام من هذه الحادثة، أصيب إبراهيم باشا بن محمد علي بالسل،

واشتد عليه داء المفاصل، وأخذ يبصق دمًا عند السعال، فزاد ذلك من هموم محمد علي وحزنه، فأرسل ولده إلى إيطاليا للعلاج، على الرغم من أنه أدرك في قرارة نفسه أن ولده في عداد الأموات، ويتضح ذلك جليًا مما قاله للسلطان عندما زار الآستانة في سنة 1846م، حيث عبّر عن خوفه من ضياع إنجازاته بسبب عدم كفاءة أحفاده لتحمّل مسؤولية البلاد والعباد، فقال:

" ولدي عجوزٌ عليل، وعبّاس متراخ كسول، من عساه يحكم مصر الآن سوى الأولاد، وكيف لهؤلاء أن يحفظوها»

بعد ذلك عاد محمد علي إلى مصر وبقي واليًا عليها حتى اشتدت عليه الشيخوخة، وبحلول عام 1848م كان قد أصيب بالخرف وأصبح توليه عرش الدولة أمرًا مستحيلاً، فعزله أبناؤه وتولّى إبراهيم باشا إدارة الدولة.

حكم إبراهيم باشا مصر طيلة ستة أشهر فقط، قبل أن يتمكن منه المرض وتوافيه المنيّة في نوفمبر سنة 1848م، فخلفه ابن أخيه طوسون، عبّاس حلمي. وبحلول هذا الوقت كان محمد علي باشا يُعاني من المرض أيضًا، وكان قد بلغ من الخرف حدًا لا

يمكنه أن يستوعب خبر وفاة ابنه إبراهيم، فلم يُبلّغ بذلك. عاش محمد علي بضعة شهور بعد وفاة ولده، وتوفي في قصر رأس التين بالإسكندرية بتاريخ 2 أغسطس سنة1849م، فنُقل جثمانه إلى القاهرة حيث دُفن في الجامع الذي كان قد بناه قبل زمن في قلعة القاهرة.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثانى

عصر خلفاء محمد على

استمر حكم أسرة محمد علي باشا لمصر في الفترة ما بين 1805م الى 1953م وتمدد حكمهم أيضًا نحو السودان لمدة طويلة خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى الشام والحجاز خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

سنتناولهم بترتيبهم مع الإشارة إلى أهم الحوادث في عصر كل منهم:

1- **إبراهيم باشا بن محمد علي باشا (يوليو: نوفمبر 1848م):**

هو الابن الأكبر لمحمد علي باشا، وقد نصب كقائم على العرش نيابة عن أبيه في عام 1848م بعد اشتداد المرض على محمد علي كما أسلفنا، وكان قائدًا للجيوش المصرية في حياة أبيه، وهو صاحب الانتصارات في الجزيرة العربية والشام، وكان قائدًا في حروب اليونان أيضا، فيبدو أنه كان الساعد الأيمن لوالده.

obeikan.com

حصل إبراهيم باشا على فرمان التولية من السلطان العثماني في مارس 1848م، ولم يشهد عصره حوادث عظيمة كما كان عصر أبيه، حتى أنه قد تُوفي قبل وفاة محمد علي نفسه، حيث تُوفي في نوفمبر 1848م بينما توفي محمد علي في أغسطس 1849م.

2- عباس حلمي الأول بن طوسون بن محمد علي باشا (نوفمبر 1848م – يوليو 1854م):

هو عباس حلمي بن أحمد طوسون بن محمد علي باشا، وهو من مواليد مدينة جدة، ثم انتقل إلى القاهرة، وقد بذل جده محمد علي جهدا كبيرًا في تعويده على أمور الدولة، إذ كان هو أكبر أبناء أسرة محمد علي من الذكور بعد عمه إبراهيم باشا، مما يعني أنه قد يتولى شئون الحكم بموجب الفرمان الذي كان محمد علي قد حصل عليه من السلطان العثماني في عام 1841م.

لم تشهد البلاد في عهده أي تطور بل تراجعت مشروعات وإنجازات محمد علي في كل المجالات بشكل كبير، فأغلق الكثير من المدارس التي أقامها محمد علي، وخفض عدد الجيش وتسليحه، إلَّا أنه شرع في إقامة خط سكة حديد بين القاهرة والإسكندرية.

على أي حال توفي في يوليو 1854م في قصره بمدينة بنها، ويبدو أن وفاته كانت اغتيالًا.

3- **محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا (يوليو1854م- يناير 1863م):**

محمد سعيد باشا هو الابن الرابع لمحمد علي باشا، وقد تولى ولاية مصر بعد ابن أخيه عباس حلمي الأول، إذ كان أصغر سنا منه، وتلقى محمد سعيد تعليمه في باريس، ويبدو أن ذلك كان له تأثيرًا عظيما على نزعته الغربية التي طغت عليه وعلى أعماله.

شهد عصره العديد من الأعمال، قد يصحبك العديد من التساؤلات حينما تقرأها، لما قام بها ؟ وما منها كان في مصلحة البلاد ؟

ومن أهم هذه الأعمال وأشهرها، تأسيس البنك المصري في عام 1854م، ومنح امتياز حفر قناة السويس واستغلالها لشركة فرنسية كانت بإدارة صديق دراسته الفرنسي فرديناند دليسبس، وقد منحه هذا الامتياز من خلال عقدين شروطهما أهدرت حقوق مصر حكومة وشعبا من خلالهما، ويكفي أن هذا الامتياز قد منح للشركة حق استغلال القناة بالكامل لصالح الشركة الفرنسية لمدة 99عامًا تبدأ من تاريخ افتتاح القناة للملاحة.

كما بدأ سعيد باشا في الاستدانة من الخارج مما عرض البلاد لأزمة مالية شديدة نالت من البلاد في عصره وألقت بآثارها على من خلفه وأدت إلى التدخل الأجنبي في شئون البلاد والذي سينتهي بالإحتلال البريطاني.

استكمل كذلك سعيد باشا الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية والذي كان عباس الأول قد شرع في إقامته، وأقام خطًا حديديًا جديدًا بين القاهرة والسويس.

تُوفي محمد سعيد باشا في يناير 1863م، وخلفه إسماعيل ابن أخيه إبراهيم باشا.

4- الخديو إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا (يناير 1863م- يونيه 1879م):

هو إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا. ولد في 1830م في قصر المسافر خانه بالجمالية، وهو الابن الأوسط بين ثلاثة أبناء لإبراهيم باشا غير أشقاء وهم الأميرين أحمد رفعت ومصطفى فاضل، اهتم والده إبراهيم باشا بتعليمه، فتعلم مبادىء العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية، وقد كان تعليمه بين فيينا النمساوية، وباريس الفرنسية.

كان الأمير إسماعيل يكره ابن عمه عباس حلمي الأول فلما تولى الحكم شعر إسماعيل واخوته بكراهية عباس لهم، ثم مات جده محمد على، واشتد الخلاف بين إسماعيل وبقية الأمراء بشأن تقسيم ميراث جده، وسافر إسماعيل وبعض الأمراء إلى الآستانه، وعينه السلطان عبد المجيد الأول عضواً بمجلس أحكام الدولة العثمانية،

وأنعم عليه بالبشاوية، ولم يعد إلى مصر إلَّا بعد مقتل ابن عمه عباس وتولى بعده عمه محمد سعيد ولاية مصر.

عندما عاد إسماعيل من الآستانه لقى من عمه سعيد عطفاً كبيراً، وعهد إليه برئاسة (مجلس الأحكام) الذى كان أكبر هيئة قضائية فى البلاد في ذلك الوقت.

بعد وفاة محمد سعيد باشا، حصل إسماعيل على ولاية مصر، حيث كان أخيه الأكبر قد تُوفي، ومنذ يومه الأول في الولاية، فقد عمل إسماعيل على التخلص من القيود التي فرضتها معاهدة لندن على مصر، ونجح في تحقيق انجازات حقيقية ملموسة أهما أن البلاد شهدت في عصره نهضة عمرانية حقيقية فهو من أقام قصر القبة وقصر عابدين، وسراي الرمل في الإسكندرية، كما تم بناء المتحف المصري في عصره، ودار الأوبرا وكوبري قصر النيل الشهير.

أقيمت في عهده كذلك مصلحة البريد المصرية، ومدت خطوط التلغراف في مصر كلها وأضيئت الشوارع بالمصابيح، ووصلت أنابيب المياه إلى المنازل.

كما شهد عصر إسماعيل بداية الحياة النيابية الحقيقية في تاريخ

مصر الحديث، حيث تم انتخاب مجلس شورى النواب عام 1866م والذي يعتبر أول مجلس نيابي منتخب في تاريخ مصر الحديث.

استكمل إسماعيل كذلك توسعات جده محمد علي في أفريقيا حتى وصل إلى دائرة الاستواء وأقام هناك مديرية مصرية عرفت بمديرية خط الاستواء، كما خاض حروبًا عظيمة في الحبشة، تأمرت فيها الدول الأوروبية ضده خوفًا من ازدياد نفوذه.

افتتحت في عهده قناة السويس للملاحة، وأقام لها احتفالات وأنفق عليها ببذخ شديد وأرسل الدعوات إلى الملوك والملكات والأمراء والأميرات والحكام في أوروبا لحضور هذه الاحتفالات.

اهتم كذلك إسماعيل بالتعليم والثقافة، فعادت البعثات العلمية في عهده من جديد بعدما كانت قد انقطعت بعد عصر محمد علي، وهو من أقام أول مدرسة لتعليم البنات في مصر وهي المدرسة السنية بحي السيدة زينب، كما أقام دار الكتب ودار الرصد والجمعية الجغرافية، ومصلحة الإحصاء والمساحة.

استطاع إسماعيل الحصول على فرمانات عثمانية جديدة صبت كلها في مصلحته ودعمت استقلاله بمصر، حيث أعطته هذه الفرمانات الحق في ضرب النقود، وعقد المعاهدات دون الرجوع

للسطان العثماني، وزيادة عدد الجيش المصري، وجعل حكم مصر من بعده في أكبر أبنائه هو فقط لا أبناء أسرة محمد علي كلها.

حصل كذلك على لقب الخديو له ولخلفائه، وهو لقب يعني الملك ويفوق لقب الباشا أو الوالي الذي كان يمنحه السلطان لمن يحكم مصر، ويبدو أنه قد أنفق الكثير من الأموال والهدايا من أجل الحصول على كل هذه المميزات.

ورغم أن عصر إسماعيل كان عصر نهضة حقيقية جعلنا نعتبره المؤسس الثاني لحكم الأسرة العلوية في مصر بعد جده محمد علي، إلَّا أن عصره كذلك لم يكن خاليا من المساويء، فقد تفحلت الأزمة المالية في عهده، وازداد التدخل الأجنبي والذي عبرت عنه المراقبة الثنائية الإنجليزية الفرنسية على المالية المصرية، ووصل الأمر إلى حد تعيين وزراء أجانب في الحكومة المصرية وعرفت بالوزارة المختلطة لوجود وزراء أجانب بها.

على أي حال فقد أدت النزعة الإستقلالية للخديو إسماعيل في حكم مصر إلى قلق السلطان العثماني، بالإضافة إلى الأطماع الإستعمارية لكل من إنجلترا وفرنسا لمصر وتحت ضغط كل من قنصلي إنجلترا وفرنسا على السلطان العثماني عبد الحميد

الثاني أصدر فرماناً بعزل الخديو إسماعيل في 26 يونيو 1879م، وإسناد منصب خديوية مصر إلى الأمير توفيق بن الخديو إسماعيل.

بعد عزل الخديو إسماعيل، سافر إلى نابولي في ايطاليا، ومنها إلى الآستانة في تركيا حيث قضى ما تبقى من عمره بها حتى توفي في مارس 1895م.

5- **الخديو توفيق بن الخديو إسماعيل (يونيه 1879م- يناير 1892م):**

هو محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، وهو الابن الأكبر للخديو إسماعيل

استلم الحكم في يونيه 1879، بعد أن أجبر الإنجليز والفرنسيون أباه الخديو إسماعيل على ترك منصبه تنفيذا للفرمان العثماني، وذلك عندما حاول استدراك ما فاته،والتصدي للنفوذ الأجنبي.

أما توفيق فقد قامت في عصره الثورة العرابية، واستطاع الاحتلال البريطاني الاستيلاء على مصر، ويبدو أن توفيق قد رحب بذلك، والشواهد كثيرة على إتفاق توفيق مع الإنجليز لاخماد الثورة العرابية وإفشالها، بل والاتحاد مع الإنجليز ضد الجيش المصري في كفر الدوار والتل الكبير، مما أدى إلى فشل الثورة العرابية وتمكن الإنجليز من احتلال مصر.

بيع في عهده حصة مصر في أرباح قناة السويس وهي 15% من صافي أرباح القناة، وكانت مرهونة لبعض الماليين الفرنسيين منذ عهد إسماعيل، وبذلك فقدت مصر ما تبقى لها من الفائدة المادية للقناة.

على أي حال حاول الخديو توفيق استرضاء الأوروبيين وفرض العديد من القيود المالية التي طالب بها دائنو مصر، وذلك بموجب قانون التصفية الصادر عام 1880م، الذي خصص أكثر من نصف إيرادات مصر لصالح الدين العام، وبذلك تمكن الأجانب من السيطرة على الاقتصاد المصري.

توفي الخديو توفيق في قصر حلوان في يناير 1892م، وأهم ما تركه للبلاد كان الاحتلال البريطاني.

6- الخديو عباس حلمي الثاني بن الخديو توفيق (يناير 1892م - ديسمبر 1914م):

عباس حلمي الثاني بن محمد توفيق بن إسماعيل وهو سابع من حكم مصر من أسرة محمد علي، وقد حاول عباس حلمي الثاني أن ينتهج سياسة إصلاحية ويتقرب إلى المصريين ويقاوم الإحتلال البريطاني، فانتهز الإنجليز فرصة بوادر نشوب الحرب العالمية الأولى وكان وقتها عباس حلمي الثاني خارج مصر وتحديدًا في

تركيا، فخلعوه من الحكم وطلبوا منه عدم العودة ونصبوا عمه حسين كامل سلطانًا على مصر وفرضوا على مصر الحماية رسميًا، وبذلك انقطعت العلاقة بين مصر والدولة العثمانية تماما.

ومن أبرز شخصيات الحركة الوطنية في عصره، الزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد، كما حصل سعد زغلول باشا في عهده على العديد من المناصب التنفيذية والتشريعية.

توفي عباس حلمي الثاني في منفاه بسويسرا عام 1944م في فترة حكم الملك الفاروق الأول، ودفن جثمانه في القاهرة.

7- **السلطان حسين كامل بن الخديو إسماعيل (ديسمبر 1914م-أكتوبر 1917م):**

هو حسين كامل ابن الخديو إسماعيل، نصب سلطانًا على مصر بعدما عزل الإنجليز ابن أخيه الخديو عباس حلمي الثاني وأعلنوا مصر تحت الحماية البريطانية في عام 1914م وذلك مع اندلاع الحرب العالمية الأولى. وكانت تلك الخطوة قد أنهت السيادة الاسمية للعثمانيين على مصر.

ولم يكن له عمل مهم، فقد كان القرار التشريعي والتنفيذي في عصره في يد سلطات الاحتلال البريطاني بعد فرض الحماية البريطانية على مصر.

8- **الملك أحمد فؤاد الأول بن الخديو إسماعيل (أكتوبر 1917م- ابريل 1936م):**

هوأحمد فؤاد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، بعد عزل والده الخديو إسماعيل سنة 1879م صحبه معه إلى المنفى في إيطاليا ثم انتقل بعد ذلك مع والده إلى الآستانة.

عُيِّنَ ياورًا فخريًا للسلطان عبد الحميد الثاني العثماني، ثم أنتدب بعد ذلك ليكون ملحقًا حربيًا لسفارة الدولة العليا في العاصمة النمساوية فيينا ثم عاد إلى مصر سنة 1890م، وتولى منصب كبير الياوران في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، وتدرج في المنصب حتى أصبح ياورًا للخديو واستمر في هذا المنصب ثلاث سنوات متتالية، وعند وفاة السلطان حسين كامل رفض ابنه الأمير كمال الدين حسين أن يخلفه، فاعتلى عرش مصر بدلًا منه.

وفي عهده قامت ثورة 1919م واضطر الإنجليز إلى رفع حمايتهم عن مصر والاعتراف بها مملكة مستقلة ذات سيادة، فأعلن الاستقلال في1922م بعد صدور تصريح 28فبراير من قبل بريطانيا، والذي أنهى الحماية البريطانية على مصر واعترف بها دولة مستقلة ذات سيادة، واستبدل لقب السلطان بلقب ملك مصر.

وفي عهده صدر دستور 1923م، وأجريت الانتخابات البرلمانية

والتي أدت إلى تشكيل أول حكومة برلمانية في مصر وكانت برئاسة سعد زغلول.

و تُوفي في أبريل 1936م بقصر القبة، ودُفن في مسجد الرفاعي.

9- الملك فاروق الأول بن الملك أحمد فؤاد الأول (ابريل1936م – يوليو1952م):

هو فاروق بن فؤاد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ونصب ملكًا على البلاد خلفًا لوالده الملك فؤاد الأول، وذلك وفقًا لنظام توارث عرش المملكة المصرية فى بيت محمد على الذى وضعه الملك فؤاد بنفسه بالتفاهم مع الإنجليز.

وكان لقبة حين تولى العرش ملك مصر وصاحب السودان وكردفان ودارفور وليس ملك مصر والسودان، إلَّا أنه ما لبث أن حمل لقب ملك مصر والسودان رغما عن أنف بريطانيا ورغم اعتراضها على ذلك ومحاولة منعه.

ومن أهم حوادث عصره ما عرف بحادث4 فبراير 1942م، حيث قامت القوات البريطانية بمحاصرته بقصر عابدين، وأجبره السفير البريطاني في القاهرة السير مايلز لامبسون على التوقيع على قرار باستدعاء زعيم حزب الوفد مصطفى النحاس لتشكيل الحكومة بمفرده أو أن يتنازل عن العرش.

فقد كان الملك فاروق يرفض إعلان الحرب على ألمانيا، وكانت الحرب العالمية الثانية في شدتها، وتحت هذا الضغط البريطاني وتهديده بالعزل، اضطر إلى الاستجابة لأوامر بريطانيا واستدعى مصطفى باشا النحاس لتشكيل الحكومة.

كما شهد عصر الملك فاروق، إعلان اليهود قيام دولتهم على أرض فلسطين في مايو 1948م، وما ترتب على ذلك من دخول مصرو الدول العربية حرب فلسطين والتي انتهت بهزيمة العرب.

وشهد عصره معركة مشهورة بين رجال الشرطة المصرية وقوات الاحتلال البريطاني في مبنى محافظة الإسماعيلية، وكانت في 25يناير 1952م.

استمر حكم فاروق مدة ستة عشر سنة إلى أن أرغمته حركة الجيش في 23 يوليو 1952م على التنازل عن العرش لإبنه الطفل أحمد فؤاد الثاني والذي كان عمره حينها ستة أشهر وفى يوم 26 يوليو 1952م غادر الملك فاروق مصر على ظهر اليخت الملكي المحروسة، وكان في وداعه اللواء محمد نجيب وأعضاء حركة الضباط الأحرار والذين كانوا قد قرروا الاكتفاء بعزله ونفيه من مصر بينما أراد بعضهم محاكمته و إعدامه كما فعلت ثورات أخرى مع ملوكها.

طالب بأن يحافظ على كرامته في وثيقة التنازل عن العرش، فطمأنه علي ماهر باشا وذكر له أنها ستكون على مثال الوثيقة التي تنازل بها ملك بلجيكا عن عرشه، وإتصل علي ماهر باشابالدكتور عبد الرازق السنهوري طالبًا منه تحرير وثيقة التنازل. فأعدت الوثيقة وعرضت على محمد نجيب فوافق عليها.

توفي في ليلة 18 مارس 1965م، في الساعة الواحدة والنصف صباحًا، بعد تناوله لعشاء دسم في مطعم شهير بروما و كانت وصية الملك فاروق أن يُدفن في مصر وتحديدًا في مسجد الرفاعي إلَّا أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد رفض الإستجابة لطلب الأسرة بتنفيذ وصية الملك الراحل فتم الإعداد لدفنه في روما و بعد الحاح شديد استجاب جمال عبد الناصر لوساطة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ووافق على أن يتم دفنه في مصر لكنه اشترط ألَّا يدفن في مدافن مسجد الرفاعي.

وصل جثمان الملك فاروق إلى مصر ودفن في تكتم شديد في حوش الباشا حيث مقبرة جده إبراهيم بن محمد علي باشا في منطقة الإمام الشافعي.

وفي سبعينيات القرن الماضي وافق الرئيس الراحل محمد أنور

السادات على طلب الأسرة وسمح بنقل رفات الملك فاروق إلى مسجد الرفاعي ودفن بجانب أبيه الملك فؤاد وجده الخديو إسماعيل.

10- **الملك أحمد فؤاد الثاني بن الملك فاروق الأول (يوليو1952م - يونيه 1953م):**

هو ابن الملك فاروق من زوجته الثانية الملكة ناريمان، وتحقق بمولده أمنية والده بإنجاب ولد ذكر كي يرث العرش، وبعد ميلاده دوت في ليل القاهرة طلقات المدفعية إعلانًا عن مولد أول طفل ذكر للملك فاروق قبل موعد ولادته الطبيعية بشهر واحد، وأعلنه وليًا للعهد، وهذا ما جعل من الأمير محمد علي باشا توفيق يبكي بعد أن سمع طلقات المدفع وعرف إن عرش مصر ذهب بعيدًا عنه بعد أن كان وليًا للعهد منذ تولي فاروق الحكم. كما أن الأمير محمد عبد المنعم شعر بذات المشاعر خصوصًا إنه كان يعتبر الثالث بترتيب العرش بسبب السن حيث كان حينها بالثانية والخمسين من العمر، بينما كان محمد علي باشا توفيق بعمر الخامسة والسبعين.

تنازل له والده الملك فاروق عن العرش تحت ضغط الضباط الأحرار قادة ثورة 23يوليو 1952م ، وغادر بصحبة والده مصر إلى إيطالياعلى متن يخت المحروسة. وشكلت لجنة الوصاية

على العرش المكونة من الأمير محمد عبد المنعم وبهي الدين باشا بركات والقائم مقام رشاد مهنا وذلك إلى تاريخ إعلان الجمهورية في18 يونيه 1953م.

تم بحمد الله وفضله

obeikan.com